
كل الرسل
في الكتاب المقدس
www.christianlib.com
بقلم
هربرت لوكير
دار الثقافة

يعقوب بن حلفي
الرسول الذي قدم خدمة غامضة

تذكرنا ترنيمة حديثة بأن الناس «سوف يتذكروننا فقط لأجل ما فعلناه». وها هنا رسول يتذكره الناس فقط باسمه، لأنه ليست لدينا كلمة واحدة في العهد الجديد يمكن الاستناد إليها بشأن نوع الحياة التي عاشها أو الخدمة التي قدمها. ولكن بالنسبة إلى يسوع، فيعقوب هذا كان أكبر من اسم، لأنه إذ كان يعرف كل ما يزكيه فقد أدرجه في قائمة الاثنى عشر الذين اختارهم ليعمل معهم، ثم يذهب إلى العالم ليكرز ويعلم الحق الذي تلقاه فيه.

الاسم James يعقوب الذي نجد أصله في الاسم Jacob، كان اسماً شائعاً ومفضلاً في عصر يسوع، ولذلك فهو اسم مستخدم عدة مرات في العهد الجديد. ولذلك من الضروروي أن نفرق بين مختلف الرجال المعروفين بهذا الاسم.

١- يعقوب بن زبدي، أخو الرسول يوحنا، وقد كان الشهيد الثاني في الإيمان، حيث استفانوس أول شهيد.

٢- يعقوب أخو ربنا، ولم يكن هذا ضمن زمرة الرسل ولم يكن تلميذاً حتى وقت متأخر.

٣- يعقوب، أبو يهوذا ليس الإسخريوطي ولم يكن قريباً ليسوع، لقد كان يهوذا الذي احتفظ بولائه.

٤- يعقوب بن حلفي. يقول التقليد إنه كان جابياً للضرائب. كان أخاً لمتى الذي وصف أيضاً بأنه ابن حلفى، نالت هذه العائلة شرف أن يكون لديها ابنان أصبحا رسولين. وهذا هو يعقوب الذي نحن بصدده.

١- نسبه

ثار جدل كبير فيما يتعلق بيعقوب الذي نحن بصدده الآن: هل هو أخو ربنا وكاتب رسالة يعقوب أم لا. يقول



الرأي المحافظ انه لا يوجد أساس لحقيقة هذا الادعاء فهو لا يمكن أن يكون واحداً من أخوة الرب، لأن الكتاب المقدس يقرر بوضوح أن «إخوة يسوع لم يؤمنوا به». وكلما ذكر إخوة يسوع فقد ذكروا كأشخاص متميزين ومنفصلين عن الرسل. نحن لا نعرف شيئاً مطلقاً عن يعقوب بن حلفى، سوى اسمه. قد يكون ابن خالة يسوع لأن أمه يتم الحديث عنها كأخت لأم ربنا (يو ١٩:٢٥) ولكن هذه الفقرة يمكن أن تحمل تفسيراً آخر. كل ما نعرفه عن هذا الرجل هو اسمه واسم أبيه - حلفى الذي يرد اسمه ايضاً باسم «كلوبا» ومن المرجح أنه «يعقوب الصغير» الذي يشير إليه مرقس، والذي يجب أن يكون «يعقوب قليل الجسم» على أساس قصر قامته (وهي سمة يشترك فيها مع زكا) وللتفريق بينه وبين يعقوب بن زبدي. ويُذكر بين الاثنى عشر المختارين قبل تحول يسوع عن أقربائه وأنسبائه. لذلك لا نعتقد أن يعقوب بن حلفى، كان أخاً لربنا، ولم يكن أخا

ليعقوب الذي يذكره بولس، ولا الشخص الذي رأس كنيسة أورشليم في وقت انعقاد المجمع الرسولي هناك. وهو لا يذكر على انفراد في الكتاب المقدس، ولكن يذكر فقط ضمن قائمة أسماء الرسل.

٢- رسوليته

مع أنه لا تذكر حادثة واحدة عن ابن حلفي هذا، فلا كلمة قالها، أو عمل واحد قام به قد سجل عنه، ومع ذلك فإن اسمه محفوظ لنا كشخص قد اختير ليكون رسولاً من قبل ربنا بعد ليلة من الصلاة. لابد أن هناك شيئاً ما يتعلق بيعقوب حفز يسوع ليضمه بين الاثنى عشر، الذين أرسلوا جميعاً ليكرزوا بالإنجيل ويعلموه، ويشفوا المرضى ويطردوا الشياطين. عندما اعترف يسوع إلى الآب، في صلاته الشفاعية، قائلاً «الذين أعطيتني حفظتهم». كان يفكر في يعقوب، كما في الباقين الذين اختارهم ليكونوا في صحبته. لاشك أنه علم أن هذا التلميذ يمكن الاعتماد عليه ليقدم خدمة أمينة حتى وإن لم يسمع بها أحد. والأيام التي قضاها يعقوب مع يسوع، جاءت ومضت حتى مات يسوع، وهكذا حدث بالنسبة للأيام التالية لصعوده. عاش يعقوب ومات، واختفى من مسرح الأحداث دون أي أثر له وفقاً للسجل المقدس. ويمكننا أن نتخيل أن ما نقص من قامة «يعقوب الصغير» قد عوضه في الخدمة، وذلك أنه على الرغم من كونه تلميذاً يشغل الكواليس الخلفية، إلا أنه لم يتسبب أبداً في مضايقة المعلم عن طريق الارتداد، والشك، أو سوء الفهم.

ربما اعتبره يسوع كرسول، ممثلاً لقائمة طويلة من التلاميذ الذين لا يوجد لدينا أي سجل عنهم، والذين لم يكن العالم مستحقاً لهم، والذين لن تذكر أسماؤهم مقرونة بخلاف خدمتهم الهادئة والأمينة وغير المعروفة في كنيسته. في ضوء هذه الحكمة والمحبة والبصيرة التي أفسحت مكاناً ليعقوب هذا، نعلم أن الذي عين الاثني عشر لديه متسع للأغلبية العظمى الذين لديهم وزنة واحدة فقط. إن بعض أعظم القوى في الطبيعة صامتة وغير مرئية.

٣- عدم شهرته

الصفة المميزة ليعقوب، ابن حلفى. هي عدم شهرته التي كان قانعاً بها، لم يكن يبحث عن الشهرة. والتلمذة في الظل هي ما أراده الرب له، وقد كان سعيداً وقانعاً بذلك، كانت ميزته أنه كان يذهب حيثما كان يرسله يسوع، وأنه جاهد الجهاد الحسن، وأكمل سعيه، وحفظ الإيمان، دون أي تفكير في الحصول على المديح والاستحسان من بشر. إن اسمه فقط منقوش على صفحات تاريخ الإنجيل، ولكن حياته وأعماله يلفها الغموض. إن الحياة الفردية لبعض الناس رائعة، ولافتة للنظر، تترك آثاراً أو انطباعاً لا يمحى على الآخرين. ولكن معظمنا أناس عاديون، لا نمتلك مواهب أو قوى خارقة. نحن أناس عاديون وبسطاء غير لافتين للانظار، ونعد نماذج للوسطية. ومع ذلك فالسمة المعتادة لمحدوديتنا لا يجب أن تجعلنا غير مبالين فيما يتعلق بأن نحيا حياتنا بالتمام في المجال المحدود الذي نعمل فيه. فكثير من الأعمال التي يكون العالم في أمس احتياج إليها والتي تعد سبب بركة له يؤديها أولئك الذين لا يعرف العالم عنهم شيئاً.

لم يفعل ابن حلفي شيئاً فريداً، ولم يفعل شيئاً يعتقد العالم أنه بحاجة إلى التسجيل. فإن لم يكن قادراً على عمل شيء عظيم، فلم يتوقع منه أحد شيئاً عظيماً، ولكن يسوع توقع من يعقوب كرسول أن يعيش كأفضل ما يكون – ونحن نشعر أنه فعل كذلك. لقد وضع بطرس خاتم شخصيته ورسالته على الكنيسة المسيحية الأولى. وترك بولس أثراً لا يمحى على لاهوت الكنيسة. وترك يوحنا رسول المحبة طابعه الشخصي على الحياة المسيحية. ولكن

يعقوب، لم يترك سوى اسمه.

فالصمت الذي يلفه مازال قائماً والمعلم الذي اختاره كواحد من أصدقائه يريدنا ألا ننسى أن نكون أمناء على القليل. قد يكون شيئاً شاقاً وكئيباً أن ندفن بذارنا ونجعلها غير مرئية في أعماق التربة، ونفس الشيء يحدث بالنسبة للحاصد حين لا يعرف حتى اسم الزارع.

إن الخدمة الأمينة الصابرة، والمتواضعة قد تمضي دون أن يسجلها أو يلاحظها البشر، ولكن أمانة القلوب الشجاعة المخلصة لا يمكن أن ينساها ذاك الذي يهتم بالعصفور الصغير. إن قديسي وأبطال الأرض غير المعروفين جمهور كبير. إنهم يبذلون كل ما في وسعهم، حتى وإن لم يلحظهم الآخرون أبداً، وهذا هو الانتصار والإنجاز النهائي لأمانتهم.

يصف ج.ب جونز زيارة قام بها لكاتدرائية لنكولن بصحبة قائد جوقة المرتلين في ذلك الوقت، تحدث الرجل بكل حماس إلى الدكتور جونز عن البرجين اللذين يزينان الواجهة الغربية من ذلك الصرح الرائع. وأشار إلى نواحي الجمال في المعمار والثراء والبذخ الظاهرين في تنفيذ تصميمات هذين البرجين. ثم أضاف بهدوء: «ولا أحد يعرف من بناهما». ولذا فإن بعضاً من أجمل الأعمال في الكاتدرائية قام به حِرَفي غير معروف كان أميناً في عمله، وقانعاً على الرغم أنه يعلم أن الناس سوف ينسونه، ولكن عمله باق، تحفة فنية جميلة ومصدر فرح دائم. يدعوننا هذا لنتذكر المرسلين في الأماكن المعزولة، ومعلمي مدارس الأحد، والعاملين في الأحياء القذرة بالمدن، وزوَّار المرضى الذين يشعرون بالوحدة والمحتاجين، والقانعين بالأماكن الوعرة والمحتقرة. إنهم يعلمون أن أسماءهم لن تدوَّن في سجلات التاريخ، ولكنهم يبذلون قصاري جهدهم لسيدهم والعالم الذي أحبه حتى أنه مات لأجله. إنهم يثقون أن شخصاً ما سوف يكتب هذه الكتابة فوق شاهد قبورهم: «لقد بذل كل ما في وسعه» وهي كلمة تأبين يستحقها يعقوب بحق.

٤- مكافأته

على الرغم أن أعمال يعقوب لم تدوَّن، إلا أنها لن تمضي هكذا بلا مكافأة. قد لا تعطينا الأناجيل سوى اسمه. ولكن اسمه يعيش إلى الأبد محفوراً على واحد من أساسات المدينة المقدسة، حيث أنه واحد من «رسل الخروف الاثنى عشر» (رؤ ٢١:١٤).

عند كرسي الدينونة، فإن كلمة السيد «نعماً» سوف تكون من نصيب المغمورين والمعروفين على السواء. يعقد بولس مقارنة صارخة بين حالة القديسين هنا وفي السماء. «كمجهولين» (طبقاً لسجلات الأرض) ونحن معروفون (في أسفار السماء) (٢كو ٦:٩). فالأمانة سوف تكون أساس المكافأة في الأبدية (رؤ ٢:١٠). والديان سوف يكافئنا لا على شهرتنا، بل على أمانتنا، فالجهد الدؤوب المخلص المبذول بحب وغير المرئي لا يتم تجاهله أو نسيانه في السماء، والحياة المجيدة الحلوة حتى وإن كانت مغمورة قد لا يراها البشر، ولكنها مرئية دائماً من ذاك الذي لا يخفى عليه شيء.

فيما يتعلق بصمت الكتاب المقدس عن حياة وأعمال يعقوب وآخرين، يقول الكسندر ماكلارن: «على أي حال فالرسل لم يكونوا العاملين الحقيقيين في الكنيسة، بل المسيح ولو أن الرسل كانوا فائقي الأهمية لتوفر لدينا سجلات دقيقة ومفصلة بكل ما قاموا به من أعمال. ولكن ما ذُكر حتى عن بعض التلاميذ الأكثر شهرة قليل نسبياً. وقد أُطبِق الصمت على الآخرين، والسبب في ذلك يكمن في إصرار الكتاب المقدس على تركيز الانتباه على الشخص الكلي الأهمية، الرب يسوع المسيح.

لست أنا، بل المسيح، هو الذي له كل الإكرام والحب والتمجيد

لست أنا، بل المسيح، هو الذي يرى، ويعرف، ويسمع
لست أنا، بل المسيح، في كل نظرة وفعل
لست أنا، بل المسيح، في كل فكرة وكلمة
المسيح، والمسيح وحده، سوف يشبعني مرآه
سوف أرى المجد الفائق، سوف أراه قريباً
المسيح، والمسيح وحده، سوف يحقق كل أمنية
المسيح، والمسيح وحده، هو الكل في الكل لي

جميعنا قرأنا عن ليوناردو دافنشي الفنان العظيم الذي رسم صورة العشاء الأخير، والذي عندما أكمل الصورة، دعا أصدقاءه لتأملها، وبعد النظر إليها بعض الوقت أبدى أحد أفراد المجموعة ملاحظة قائلاً: كم جميلة تلك الأكواب الموضوعة على المائدة.

عندئذ عقدت الدهشة لسان هذا الصديق، عندما أخذ الفنان على الفور فرشاته وطمس الأكواب قائلاً «أريد أن ينظر الناس إلى المسيح». ونحن لا يسعنا سوى أن نشعر أن تلك هي المشاعر الفياضة دائماً وأبداً ليعقوب بن حلفي. فقد أراد أن يكون معلمه هو الكل في الكل، ولذا فقد ماتت الذات بداخله.

منذ اللحظة التي التقى فيها يعقوب مع المسيح وأصبح رسوله، وجد نفسه مشدوداً لمركبة معلمه، وكعبد لحبه، عاش لمجده فقط، ومات دون ترك أي سجل عن نفسه. ولكن في السماء، فهو يحيا ثانية، وسوف يسطع كالنجوم إلى الأبد. سوف يكون الاعتراف به كاملاً وينال مكافأة غير منقوصة في الموضع الذي يقال عنه «وعبيده يخدمونه وهم سينظرون وجهة واسمه على جباههم» (رؤ ٢٢:٣،٤).

وبمعنى آخر فإن يعقوب وجد المكافأة في الخدمة ذاتها مع أن الخدمة قد بذلت لأجل الخدمة. ومع أنه كان مدركاً أن المهام الملقاة على عاتقه متواضعة ومغمورة، إلا أنه قام بأدائها بأمانة وباجتهاد. فإن يحصل على ثقة معلمه فيه فهذه ليست مكافأة هينة.

ومع ذلك فالمكافأة الكاملة من نصيبه الآن، لأن كل خدمة مجهولة هنا على الأرض سوف يعترف بها في السماء. فقد خلع معلم يعقوب ثيابه وأخذ منشفة واتزر بها ليقوم بخدمة حقيرة وغير لامعة. ونفور سيده من كل محاولة لجذب الأضواء على النفس قد أثر تأثيراً كبيراً على تابعه المتواضع، مما ألهمه أن يخدم في ضوء الأبدية حيث «سيجازي (الله) كل واحد حسب أعماله» (رو ٢:٦).